إحفظ الله يحفظك

بقلم الدكتور / أبو زيد محمد أبو زيد جعفر
مدرس التفسير بالكلية

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين الحفيظ الودود يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد :

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال لي : ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك شيء قد كتبه الله تعالى لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

قال الصنعاني . وله طرق أخرى أفرده بعض علماء الحنابلة بتصنيف مفرد ، فإنه اشتمل على وصايا جليلة . والمراد من قوله « احفظ الله » أي حدود الله وعهوده ، وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر

به وأذن فيه إلى ماتهى عنه ، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله فى كتابه بقوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين(١) » الذين يتركون الفواحش ويحافظون على عبادة ربهم . وينفعون خلق الله وقال عز وجل : « هذا ماتوعدون لكل أوّاب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب(٢) » .

فسر العلماء الحفيظ بالحافظ لحدود الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها وقال عبيد بن عمير : هو الذى لايجلس مجلسا حتى يستغفر الله تعالى فيه وروى مكحول عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من حافظ على أربع ركعات من أول النهار كان أوابا حفيظا » ذكره الماوردى .

حفظ الصلاة

ومن أعظم مايجب حفظه من أوامر الله الصلاة ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين(٣) » ومدح المحافظين عليها بقوله تعالى : والذين هم على صلاتهم يحافظون »(٤)

وقال النبى ﷺ : « من حافظ عليها كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة » وفى حديث آخر : « من حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة » وكان

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢
(٢) سورة ق الآية ٣٢ - ٣٣
(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٨
(٤) سورة المؤمنين الآية ٩ - ١١

يوم القيامة مع قارون وهامان وأبي بن خلف رواه أحمد بإسناد جيد وجعلهم الوارثين «الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون(١)» ، وأنهم من أهل الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم : «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة» أخرجه أحمد . ومما يؤثر الإنسان بحفظه الطهارة فإنها مفتاح الصلاة ، قال النبي ﷺ «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» ومن ذلك حفظ الرأس والبطن كما في حديث ابن مسعود المرفوع : «الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى» اخرجه الإمام أحمد والترمذي وحفظ الجميع يتحقق في البعد عن المحرمات والإنسان مسؤول عن هذه الجوارح ومحاسب عنها أمام الله وقد جمع الله ذلك كله في قوله : «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا(٢)

حفظ الفرج :

وأمر الله عزوجل بحفظ الفروج ومدح الحافظين لها فقال تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون(٣)» ، فيجب على المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم الله عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم .

قال أبو داود حدثنا اسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن

---

(١) سورة المؤمنين الآية ٩ - ١١
(٢) سورة الإسراء الآية ٣١
(٣) سورة النور الآية ٣٠

أبي ربيعة الأيدى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلى : ياعلى لا تتبع النظرة فان لك الأولى وليس لك الآخرة » .

ورواه الترمذى من حديث شريك وقال غريب : لانعرفه إلا من حديثه . وفى الصحيح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات — قالوا يارسول الله لابد لنامن مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ — إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه — قالوا وماحق الطريق يارسول الله ؟ — قال : غض البصر وكف الأذى . ورد السلام . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

الجزاء من جنس العمل :

هؤلاء الذين حفظوا دين الله من الضياع والتبديل يحفظهم الله كما قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله(١) » أى للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر .

كما جاء فى الحديث الصحيح : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

وفى الحديث الآخر : « إن معكم من لايفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم » فلولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتم » .

---

(١) سورة الرعد الآية ١١

فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـــاة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون(١) » فمن حفظ الله فى صباه وقوته حفظه الله فى كبره ومنعه بحوله وقوته ، وجاوز بعض العلماء كالقاضى الحسن البصرى والبغوى والجوينى مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ووثب الجوينى يوما وثبة شديدة فكلم بسببها فقال : هذه جوارح حفظناها من المعاصى فى الصغر فحفظها الله علينا فى الكبر .

ونقل عن القاضى أبى الطيب أنه الطيب أنه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من أعضائه فقيل له فى ذلك فقال : لم أعص الله بعضو منها . وقد يتعدى الحفظ إلى ذرية الإنسان .

كان عمر بن عبد العزيز يقول : « ما من مؤمن صالح يموت إلا حفظه الله عز وجل فى عقبه وعقب عقبه » وقال سعيد بن المسيب : لابنه يابنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ، ثم هذه الآية : « وكان أبوهما صالحا » وقال ابن المنكدر إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ من الله وستر ، ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإن الله يحفظه فى تلك الحال . وقال مجاهد : « مامن عبد إلا له ملك يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما من شىء يأتيه إلا قال له : وراءك ، إلا شيئا أذن الله فيه فيصيبه » .

أتوجه إلى الله أن يرحم الآباء والأمهات وأن يحفظ علينا ديننا ويحمى بلادنا من شرور الحادثات ويملأ الدنيا سلاما شاملا كل الجهات . وأدعوا

---

(١) سورة النحل الآية ٩٧

العلى القدير حين أمسى وحين أصبح بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج الإمام وأبو داود والنسائى من حديث ابن عمر قال « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح : اللهم إنى أسالك العافية فى الدنيا والآخرة، واللهم إنى أسالك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى ، واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى ، والله ولى التوفيق .